**المحاضرة الرابعة: علاقة النقد بالفلسفة:**

تحتل المرحلة الفكرية صدارة عصر النهضة بما هي إعادة إحياء التراث اليوناني و الأفكار التي انتهى إليها أرسطو، و مبادئ المنطق الصوري و أساس القول بالعقل المنطقي عند أرسطو هو مبدأ عدم التناقض، و قبل التفصيل في مسألة مبادئ العقل المنطقي، وجب الإشارة إلى الجديد الذي أضافه ديكارت إلى سبل الوصول إلى الحقيقة، فإلى جانب وقوفه مع السبل و الخطوات التي أقرها أرسطو من قبل، إذ قال بمنهج الشك طريقا للوصول إلى الحقيقة و هو ما اصطلح على تسميته بالكوجيتو الديكارتي" للبحث عن الحقيقة يلزمنا، و لو مرة واحدة في حياتنا، أن نشك في جميع الأشياء، ما أمكننا الشك" [[1]](#footnote-1).

فيكون الشك أساس في الوصول إلى الحقيقة و لا يمكن الوصول إلى الصدق ما لم نمر بالخطأ مرحلة ضرورية في الشك" في أنه من المفيد أيضا أن ننعت بالخطأ كل ما كان يحتمل الشك بل من المفيد جدا أن ننعت بالخطأ كل ما تصورنا فيه أقل داع للشك، و ذلك حتى يمكننا، لو تأتى لنا اكتشاف بعض الأشياء تظهر لنا بيئة الصدق، بالرغم من احتياطنا هذا، اعتبارها أكثر الأشياء يقينا و أيسرها معرفة" [[2]](#footnote-2)، و بالانطلاق من الشك يكون العقل هو الفاصل في حقيقة هذه القضايا و موضحا لمواطن اليقين و الصدق فيها" و لكن يجب أن يلاحظ أي لا أقصد أن تستخدم هذه الطريقة الشاملة في النقد، إلا عند شروعنا في النظر في الحقيقة، إذ من المؤكد أنه فيما يتعلق بتوجيه حياتنا، كثيرا ما يلزمنا اتباع آراء هي راجحة فقط، و ذلك لأننا لو حاولنا التغلب على كل شكوكنا، لكان في ذلك ما يكاد يفوت علينا دائما فرص العمل، و كذلك، عندما تتعدد الآراء الراجحة في موضوع واحد ولا نستطيع ترجيح الواحد منها على الآخر، يقضي العقل باختيار أي واحد و إتباعه بعد ذلك على أنه يقيني أكبر اليقين" [[3]](#footnote-3).

وقد ربط بين الوجود و التفكير و ضرورة اقتران كل طرف بالآخر عن طريق القول بالكوجيتو، و هي سبل يسعى من خلالها ديكارت للوصول يقينا إلى الحقيقة التي لا تحتمل الشك، بعد الشك فيها أولا" إن كوني أرى الفكر شاكا في حقيقة الأشياء الأخرى يقتضي اقتضاء بديهيا و يقينيا أنى موجود، في حين أنني توقفت عن التفكير و كان سائر ما كنت تصورته حقيقيا لما جاز لي أن أعتقد أنني موجود إلى أي مكان و لا يعتمد على شيء مادي، بمعنى أن النفس التي تقوم متميزة عن البدن هي أيسر منه معرفة، و أنه لو لم يكن الجسم موجودا على الإطلاق، لكانت النفس موجودة بتمامها"[[4]](#footnote-4).

والقول بالشك طريقا في الوصول إلى الحقيقة ليس إلا تثمينا لما جاءت به البحوث الأرسطية من قبل حول سبل الوصول إلى الحقيقة، و رغم كل المحاولات للتأسيس لأسس و مبادئ المنطق الصوري يعزى فيه الفضل للمعلم الأول أرسطو" إن علم المنطق بدأ مع أرسطو كاملا و منتهيا، و للعلم أن المنطق الأرسطي، تصدى للرد على السفسطائيين إذ يأخذ مسلماتهم كما هي و يحولها إلى صور منطقية في شكل مقدمات و نتائج يرغمهم على التسليم بها و هو ما يعرف في المنطق الأرسطي بالقياس" [[5]](#footnote-5)، و لا يستقيم هذا المنطق إلا بالاعتماد على مجموعة أسس أولها مبدأ الهوية و ثانيها مبدأ العلية و السببية و الحتمية و عدم التناقض و الثالث الموفوع.

وعلى كل، يقوم المنطق على قوانين يتحرى من خلالها عدم الوقوع في الزلل" فموضوع المنطق الصوري، هو أن يضع القواعد التي تجعل الفكر متفقا مع ذاته، و لا يتناقض مع هذه الوقائع التي وضعها بذاته، و بالتالي، فهو يبحث في أي القوانين و القواعد التي يحتاج إليها الفكر لكي يستطيع أن يصل من مقدمات إلى نتائج صحيحة بواسطة المقدمات نفسها"[[6]](#footnote-6)، فالتناسق و الانسجام هو أساس الترتيب في الوصول إلى النتائج انطلاقا من الأسباب التي تمنع الفكر من الوقوع في التناقض.

**3-المنظومة المصطلحية:**

بما أن الأمر متعلق بقيام نظرية معرفية و منهج علمي، فالأمر يقتضي منظومة مصطلحية تضمن حقوق التخصص، و تحديد المصطلح عمل يقتضي في حد ذاته تتبعا لمراحل اللفظة و المفاهيم التي ارتبطت به قصد تخصيصه ليلائم حقل التخصص فـ" منهج البحث يقتضي التحديد، و الكشف عن الملابسات التي تمر بها المفاهيم أو المصطلحات، فرز المراحل التي تشكلت فيها دلالة المصطلح أو اتخذت لها سمات محددة، لذلك لا بد من الوقوف على الجذر اللغوي، و الانطلاق منه إلى إشكال الدلالة الأخرى"[[7]](#footnote-7)، و منه صار البحث جاريا عن مصطلحات يمكن إدخالها ضمن المفهوم النقد عامة، انطلاقا من حقيقته" و النقد في حقيقته تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، أو إلى الأدب خاصة، يبدأ بالتذوق، أي القدرة على التمييز، و يعبر منها إلى التفسير و التعليل و التقويم، و هي خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى، و هي متدرجة على هذا النسق، كي يتخذ الموقف نهجا واضحا، مبنيا على قواعد جزئية أو عامة، مؤيدا بقوة الملكة بعد قوة التمييز" [[8]](#footnote-8).

ولتحقيق أهداف تخدم التخصص صار المصطلح أكثر إشكالية يتناولها كل مجال قبل أن تقوم له قائمة" لقد بات المصطلح- بعامة- أداة لا غنى للمرء عنها إذا ما أراد الخوض في خضم الفكر و الغوص في بحره الزاخر، في زمن تطورت فيه أنماط الحياة الإنسانية و رحبت أفاق الفكر و تنوعت اختصاصاته، و تعددت وسائل التواصل و الاتصال بين البشر في مختلف الميادين، و دقت تقنيتها و تعقدت آلتها و هو بذلك يشكل العمود الفقري بالنسبة للحقول المعرفية الأخرى" [[9]](#footnote-9)، و المصطلح عادة ما ينطلق من العام قصد تخصيصه، فهو يمكن أن يدرج ضمن دائرة بحث تخصص بعينه عن طريق" و المصطلح النقدي جزء من المصطلح العام و هو اللفظ الذي يسمى مفهوما معينا داخل تخصص لا يلزم من ذلك أن تكون التسمية ثابتة في جميع الأعصر و لا في جميع البيئات و لا لدى جميع الاتجاهات – بل يكفي مثلا- أن يسمى اللفظ مفهوما نقديا لدى اتجاه نقدي ما لليعتبر من ألفاظ ذلك الاتجاه النقدية أي مصطلحاته، أي أنه مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص النقد"[[10]](#footnote-10).

علما أنه تم تحديد المصطلح في المعاجم من خلال وضع الحدود التالية" هو لفظ موضوعي اتخذه الباحثون و العلماء لتأدية معنى معين يوضح المقصود، و المصطلح من مشكلات الأمم في كل العصور، و قد ظهرت مشكلة المصطلح العربي منذ بدؤوا بتدوين علوم القرآن و تأليف الكتب، و تضخمت المشكلة حيث شرعوا بالنقل و الترجمة، فعمدوا إلى نبش العربية لاستخراج مصطلح يناسبهم، و إن عجزوا استخدموا اللفظة الإغريقية أو الهندية ...و عدوها مصطلحا يفي بالغرض، و مجال المصطلح الفلسفة و العلوم و الدين و القانون، فظهرت بعض الكتب في الكتب مثل التعريفات للجرجاني. و لكل علم مصطلحاته كما لكل حرفة، و تعقدت الأمور في العصر الحديث مع كثرة العلوم الوافدة، فقام العلماء يؤلفون كتبا و معاجم في المصطلحات، فظهرت كتب في مصطلح الفلسفة، و مصطلح التاريخ، و مصطلح الأدب و مصطلح اللغة، بالإضافة إلى ما تصطلح عليه المجامع اللغوية والعلمية" [[11]](#footnote-11).

ومجمل القول، ارتبط النقد الأدبي الحديث بعديد المرجعيات التي كانت سببا في إرساء ركائزه ضمن باقي العلوم التي ظهرت في العصر الحديث، فتأثر بدوره بنفس الظروف التي أصابت العالم بالتغيير و التجديد، فكانت العلمية و الموضوعية شعار الدراسات في فترة العصر الحديث، فارتبط النقد بدوره بهذا التيار و صار النقد علما له أسسه و مبادئه التي كانت تجعله في بداية الأمر خدمة لباقي العلوم النفسية و الاجتماعية اعتقادا منهم بصدور الأدب عن الظروف و الأدب هو تفسير لهذه العوامل، إلى أن تم الفتح اللغوي على يد فاردناند دي سوسير فنحى باللغة منحى مختلفا ظهر على إثره ما يسمى بعلم اللغة، أو اللسانيات، أما المرجع الثاني فكانت الفلسفة العقلية بما طرحته من أفكار أسست لمفهوم المنهج من جهة، و قامت بتعليم الإنسان كيفية الوصول إلى الحقيقة عن طريق الشك، و هو ما يفسر الكوجيتو الديكارتي ( أنا أفكر إذن أنا موجود) و هي القاعدة التي تأثر بها كثير من النقاد العرب في عصرهم، و أخيرا كان لزاما على الناقد أن يملك منظومة مصطلحية تميزه عن غيره و تقيم ركيزة علمه في عصر صار فيه المصطلح دليل التخصص و ميزته.

1. - ديكارت : الشك المنهجي،من كتاب: محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة الحديثة- نصوص مختارة، افريقيا شرق 2000- المغرب-، ط:2، 2010، ص 47. [↑](#footnote-ref-1)
2. - المرجع نفسه، ص 48. [↑](#footnote-ref-2)
3. - ديكارت : الشك المنهجي،من كتاب: محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي، الفلسفة الحديثة- نصوص مختارة ، ص 48. [↑](#footnote-ref-3)
4. - إيمانويل كانط: نقد العقل الخالص، عن كتاب محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي: الفلسفة الحديثة – نصوص مختارة- ، ص 51. [↑](#footnote-ref-4)
5. - لعموري عليش: مبادئ عامة في المنطق، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع- الجزائر- 2011ص 13. [↑](#footnote-ref-5)
6. - ، لعموري عليش: مبادئ عامة في المنطق، ص 34. [↑](#footnote-ref-6)
7. - محمد كريم الكواز: البلاغة و النقد -المصطلح النشأة و التجديد-، ص 11. [↑](#footnote-ref-7)
8. - المرجع نفسه، ص 54. [↑](#footnote-ref-8)
9. - إدريس بن فرحات: مصطلح النقد في كتاب الأدب و النقد لعبد السلام المسدي،رسالة ماجستير- جامعة قاصدي مرباح – ورقلة- تخصص نقد عربي و مصطلحاته- 2011-2012، ص 1. [↑](#footnote-ref-9)
10. - أحمد مطلوب: نحو معجم لمصطلحات النقد الحديث، مكتبة لسان العرب،- لبنان ناشرون- ط:1، 2001،ص 63. [↑](#footnote-ref-10)
11. - محمد التونجي:المعجم المفصل في الأدب، ص 797. [↑](#footnote-ref-11)